فضل أهل القرآن

عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ،

١ أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ ﷺ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟

٢ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، فقال: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ فقال: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا.

٣ قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟

٤ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ،

٥ قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(١٤١).

(١٤١) رواه مسلم (٨١٧).

آيات

- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].
- ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١]

الراوي

هو: أبو حفص، الفاروق، عمرُ بنُ الخطَّاب القرشيُّ العَدويُّ ﷺ، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحدُ العشَرة المبشَّرين بالجنَّة، كان سفيرَ قريش قبل الإسلام؛ إذا وقع بينهم حربٌ بعثوه للصلح والحُكم، أسلم في السنة السادسة من البعثة، وكان إسلامه عزًّا للإسلام والمسلمين، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وتولَّى الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصدِّيق ﷺ سنة (١٣هـ)، واشتهر بالعدل والإنصاف مع الشدة والجرأة في الحق، وفي عهده فُتحت أكثر البلاد مثل العراق والشام ومصر وغيرها، استُشهد سنة (٢٣هـ)، ودُفن في حجرة عائشة ﷺ، بجوار النبيّ ﷺ وأبي بكر الصدِّيق ﷺ[1].

خلاصة

اعترض عمر ﷺ على أحد عُمَّاله على مكة حين تركها واستعمل عليها أحد الموالي، فلمَّا أخبره أنه من حَملة كتاب الله تعالى زال إنكاره، وأقرَّ فعلَ عامله، واستشهد له بقول النبيِّ ﷺ أن هذا الكتاب يُعزُّ أناسًا ويُذِلُّ آخرين.

(١) يراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة لأبي نعيم» (١/ ٣٨)، «أسد الغابة لابن الأثير» (٤/ ١٣٧)، «الإصابة لابن حجر» (٤/ ٤٨٤).

١ يذكر الصحابيُّ الجليلُ عامر بن واثلة ﷺ أنَّ نافعَ بن عبد الحارث ﷺ كان قد جعله عمر بن الخطاب ﷺ أميرًا على مكة، فخرج من مكة في إحدى مصالحه، فقابله عمر ﷺ في عُسْفان، **وهي بلدة بينها وبين مكة حوالي ٨٠ كيلو مترًا**، فسأله عمر عمَّن استخلفه على مكة، يلي أمر الناس ويسوسهم ويؤمهم في الصلوات ونحو ذلك.

٢ فأخبره نافعٌ أنه استخلف عليهم رجلًا اسمه ابن أبزى[١٤٢]، فلم يعرفه عمر ﷺ، فسأله عن حاله، فقال له: إنَّه **كان عبدًا لنا فأعتقناه.**

٣ فأنكر عمر ﷺ عليه أن يستخلف على النَّاسِ مولًى، وفيهم من الأحرار والأشراف من أصحاب النبيِّ ﷺ وتابعيهم مَن يصلح لذلك.

وليس معنى ذلك أنَّه لا يجوز تولية الموالي، ولا أنَّ عمر ﷺ يحتقر الموالي والعبيد ويراهم دونَ الأحرار، وإنما مراعاةً لمصالح الناس واجتنابًا للفتن؛ إذ إنَّ الغرض من الولايات ضبطُ أمور الناس وتحقيق مصالحهم، وذلك يحتاج رجلًا عاقلًا حازمًا مُهابًا لا يتجرأ عليه أحد، ويقتضي ذلك أن يكون العاملُ حُرًّا شريفًا نسيبًا وجيهًا، وإلَّا استخفَّ به الناسَ ولم يطيعوه.

٤ فأخبره نافعٌ ﷺ أنَّه إنما استعمله لأنه حافظٌ لكتاب الله تعالى، عالمٌ بالفقه وأحكام المواريث، وأنَّ هذا المولى رفعه اللَّه تعالى على الناسِ بهذه الأمور، وهم يَعرِفون منه ذلك، فيَحترمونه، ويُعظِّمونه، ويُطيعون أمره، فتستقيم أمورهم، وتستقرُّ أحوالهم[١٤٣].

٥ فلما أخبره بذلك رَضِيَ عمر ﷺ فِعْلَه، وأقرَّ صُنْعَه، ودَلَّل على صحته بأنَّ النبيَّ ﷺ أخبر أنَّ هذا القرآن يُكرم أناسًا ويرفع منزلتهم في الدنيا والآخرة، ولولاه لكانوا أذلَّاء، كما أنَّه يُهِين مَن كفر به وتَرَكَ العمل بِما فيه، ولو كان من أصحاب العزِّ والسؤدد.

---

(١٤٢) هو عبد الرحمن بن أبزى الخُزاعي، مختلف في صحبته، وأكثر المؤرخين على أنه صحابيٌّ لقي النبيَّ ﷺ وصلَّى خلفه وروى عنه. ينظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٦/ ٥٠١)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/ ٢٠١).

(١٤٣) «البحر المحيط الثجاج» لمحمد بن عليٍّ الإثيوبيِّ (١٦/ ٤٥٨).

اتّباع

(١) دلَّ الحديث على أنَّه يجب على الإنسان إذا استخلف مكانه من يقوم بعمله أن يراعي في اختياره شروط المهمة المُوَكَّل بها ومقتضياتها. فإذا أراد صاحبُ شركة أو مُقاولٌ أو عاملٌ أن يرسل أحد عُمَّاله لعمل شيءٍ فإنه ينبغي أن يراعي فيه الأمانة وإتقان العمل ونحو ذلك، وإذا أراد أميرٌ أو وزيرٌ أن يستنيب أحدًا أو يُوكِّل عاملًا معه فإنه يشترط فيه حسن السياسة والقدرة على تلبية مصالح الناس.

(٢) دلَّ الحديث على أنَّ المستحقَّ لولاية أمور المسلمين إنما هو الفقيه العارفُ بأحكام كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ وإن كان فقيرًا من الموالي.

(٣) انظر في نفسك كيف تجدها بكتاب الله تعالى؟ هل آمنت به وصدَّقته وأدمنت تلاوته فرفعك اللهُ تعالى به، أم ضيَّعتَه فوضعك الله به؛ فهما أمران لا ثالث لهما، قال قتادة رحمه الله: «لم يُجالس هذا القرآنَ أحدٌ إلَّا قام عنه بزيادة أو نقصان»(١٤٤).

(٤) قيمة الإنسان بقيمة ما يحمله من علم، فعلى طالب العلم أن يصرف همه للعلم النافع فهو شرف له في الدنيا والآخرة.

(٥) إذا كان القرآنُ يرفع قدر صاحبه في الدنيا بأن يجعله رأسًا في الناس وإمامًا بهم، فإنَّ الرفعة الكبرى إنما تكون في الآخرة؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(١٤٥).

قال الشاعر:

هكَـذا يـا روحُ كُـوني نَحْلَـةً	لَمْ تَمِـلْ للنَّـوْمِ أو إغْرائِـهِ
دونَـكِ القـرآنَ رَوْضًـا نـاضِرًا	فارشُـفِي مـا شئتِ مِـن أندائِـهِ
قدِّمِـي للكَـوْنِ مِـن أزهـارِهِ	شَـهْدَهُ المُشْـهُودَ باسـتحْلائِهِ
لا تَرومِـي غـيرَهُ رَوْضًـا؛ فَكَـمْ	عِفْـتُ طِيبًـا شَـذَّ عـن أشـذائِهِ
فالهُـدَى في هَدْيِـهِ، والفـوزُ في	نهجِـهِ، والمَجْـدُ في إعْلائِـهِ

(١٤٤) «أخلاق حملة القرآن» للآجرِّيِّ (ص: ٧٣).

(١٤٥) رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذيُّ (٢٩١٤).